

في الممارسة العملية



ماوتسي تونغ

المكتبة الشيوعية الماوية

في الممارسة العملية

في العلاقة بين المعرفة والممارسة العملية –
العلاقة بين المعرفة والعمل

(يوليو – تموز – ١٩٣٧)

كانت المادية قبل ماركس تنظر الى قضية المعرفة بمنأى عن طبيعة الانسان الاجتماعية وبمعزل عن تطوره التاريخي ، ولذلك لم يكن في مقدورها أن تدرك تبعية المعرفة للممارسة العملية الاجتماعية ، أى تبعية المعرفة للانتاج والصراع الطبقي .

أما الماركسيون فيعتبرون أولاً وقبل كل شيء أن نشاط الانسان في الانتاج يشكل أهم نشاطاته العملية الأساسية ويقرر نشاطاته الأخرى . فالانسان ،

كان في حزبنا رفاق من ذوى نزعة الجمود العقائدي ظلوا فترة طويلة من الزمن يرفضون تجربة الثورة الصينية ، منكرين الحقيقة التالية : « الماركسية ليست عقيدة جامدة بل هي مرشد للعمل » ، فكانوا يقنعون بالتقاط شذرات من نصوص الكتب الماركسية دون أن يهضموها ، ليهولوا بها على الناس . وكذلك كان هناك رفاق آخرون من ذوى النزعة التجريبية ظلوا خلال فترة طويلة من الزمن يحصرون أنفسهم في محيط تجاربهم الشخصية الجزئية فكانوا لا يدركون ما للنظرية من أهمية بالنسبة الى الممارسة العملية

بالاعتماد بصورة رئيسية على نشاطه في الانتاج المادى ، يتفهم تدريجيا ظواهر الطبيعة وخصائصها والقوانين التى تتحكم فيها ، والعلاقة بين الانسان وبين الطبيعة ؛ وكذلك يتفهم تدريجيا وعلى درجات متفاوتة عن طريق نشاطه في الانتاج ما يربط بين الانسان والانسان من علاقات معينة . ولا يمكنه الحصول على أى معرفة من هذه المعارف بمعزل عن النشاط في الانتاج . ففي المجتمع اللاتبقى يتعاون كل امرئ ، بوصفه فردا من المجتمع ، مع أفراد المجتمع الآخرين ويرتبط معهم بعلاقات انتاج معينة ويسهم في النشاط الانتاجي من أجل حل مشكلة حياة الانسان المادية . أما في مختلف المجتمعات الطبقة فان أفراد المجتمع من مختلف الطبقات يرتبطون فيما بينهم كذلك بعلاقات انتاج معينة بأشكال مختلفة ويباشرون النشاط الانتاجي من أجل حل مشكلة حياة الانسان المادية . وهذا هو المصدر الأساسى لتطور المعرفة البشرية .

ان الممارسة العملية التى يباشرها الانسان في المجتمع لا تقتصر على شكل النشاط الانتاجي وحده ، بل تتخذ أشكالا أخرى عديدة — الصراع الطبقي

الثورية ، ولا يرون الوضع العام للثورة ، وبالتالي كانوا يعملون على غير هدى رغم أنهم يبدلون في العمل الجهود المضنية . وقد سببت الأفكار الخاطئة لهذين الفريقين من الرفاق ولا سيما أفكار أصحاب الجمود العقائدى خسائر جسيمة للثورة الصينية خلال أعوام ١٩٣١ - ١٩٣٤ ، ولكن أصحاب الجمود العقائدى كانوا يرتدون معطف الماركسية ، لذلك استطاعوا أن يضللوا كثيرا من الرفاق . وكتب الرفيق ماو تسي تونغ مقالة « في الممارسة العملية » هذه ليفضح ، انطلاقا من وجهة النظر الماركسية حول المعرفة ، هذه الأخطاء ذات النظرة الذاتية في الحزب التى تتمثل في نزعة الجمود العقائدى والنزعة التجريبية وعلى الأخص في نزعة الجمود العقائدى . وقد وضع للمقالة عنوان « في الممارسة العملية » لأنها تركز على فضح النظرة الذاتية المتمثلة في نزعة الجمود العقائدى التى تستهين بشأن الممارسة العملية . وكان الرفيق ماو تسي تونغ قد ألقى قبل ذلك محاضرة في الكلية الحربية والسياسية المناهضة لليابان في يانآن تضمنت الأفكار الواردة في هذه المقالة .

والحياة السياسية والنشاطات العلمية والفنية ، وباختصار جميع مجالات الحياة الواقعية فى المجتمع وهى جميعا مما يساهم فيه الانسان ككائن اجتماعى . وهكذا يتوصل ، بدرجات متفاوتة ، الى معرفة العلاقات المختلفة بين الناس لا من خلال حياته المادية وحسب ، بل من خلال حياته السياسية والثقافية (وكلتاهما مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة المادية) أيضا . ومن بين أشكال الممارسة العملية الاجتماعية هذه ، يترك الصراع الطبقي خاصة ، فى أشكاله المختلفة ، أثرا عميقا فى تطور المعرفة البشرية . ففى المجتمع الطبقي يعيش كل انسان كفرد من أفراد طبقة معينة ، ويحمل كل نوع من أنواع التفكير دون استثناء طابع طبقة معينة .

يعتبر الماركسيون أن النشاط الانتاجى فى المجتمع البشرى يتطور خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، وتبعا لذلك فان معرفة الانسان ، بالطبيعة كانت أم بالمجتمع ، تتطور أيضا خطوة فخطوة من مرتبة دنيا الى مرتبة عليا ، أى من معرفة سطحية الى معرفة عميقة ومن معرفة وحيدة الجانب الى معرفة متعددة الجوانب . وفى مرحلة طويلة من التاريخ ، لم يكن من الممكن لمعرفة الناس بتاريخ المجتمع أن تتعدى حد المعرفة الوحيدة الجانب ، والسبب فى ذلك يعود من جهة الى أن تعصب الطبقات المستغلة (بكسر الغين) كان على الدوام يشوه تاريخ المجتمع ، ويعود من جهة أخرى الى أن النطاق الضيق للانتاج كان يحد من آفاق الناس . ولم يستطيعوا أن يحصلوا على فهم تاريخى متكامل لتطور تاريخ المجتمع ، ويحولوا معرفتهم بالمجتمع الى علم ، أى علم الماركسية ، الا عندما ظهرت البروليتاريا الحديثة مع ظهور القوى المنتجة الجبارة ، أى الصناعات الكبرى .

ويعتبر الماركسيون أن الممارسة العملية التى يباشرها الانسان فى المجتمع هى وحدها المقياس الذى يختبر به ما اذا كانت معرفة الانسان بالعالم الخارجى

حقيقة أم لا . والواقع أن معرفة الانسان لا تثبت صحتها الا عندما يتوصل من خلال ممارسته العملية الاجتماعية (خلال الانتاج المادى والصراع الطبقي والتجربة العلمية) الى احراز النتائج المنشودة . فاذا أراد الانسان أن يحقق النجاح في عمله ، أى يحقق النتائج المنشودة ، فعليه أن يجعل أفكاره متفقة مع قوانين العالم الخارجى الموضوعى ، فاذا لم تكن أفكاره متفقة مع هذه القوانين فلا بد أن يفشل فى الممارسة العملية . واذا فشل فانه سوف يستخلص الدروس من فشله ويصحح أفكاره ويجعلها متفقة مع قوانين العالم الخارجى ، وعندئذ يستطيع تحويل فشله الى ظفر ، وهذا هو المقصود من قولهم : « الفشل أم النجاح » وقولهم : « كل عثرة تزيد الانسان فطنة » . ان النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة تضع الممارسة العملية فى المقام الأول اذ تعتبر أن معرفة الانسان لا يمكن أن تنفصل اطلاقا عن الممارسة العملية ، وتنبذ كل النظريات الخاطئة التى تنكر أهمية الممارسة العملية وتفصل المعرفة عن الممارسة العملية . وهكذا قال لينين : « ان الممارسة العملية أعلى من المعرفة (النظرية) لأنها لا تمتاز بصفة الشمول فحسب ، بل تمتاز كذلك بصفة الواقع المباشر . » (١) ان للمادية الديالكتيكية - الفلسفة الماركسية ميزتين بارزتين : أولاهما صفتها التطبيقية ، فهى تعلن بصراحة أن المادية الديالكتيكية هى فى خدمة البروليتاريا ، والثانية صفتها العملية ، فهى تؤكد على تبعية النظرية للممارسة العملية حيث أن النظرية تقوم على أساس الممارسة العملية ثم تعود لخدمة الممارسة العملية . ان ما يستند اليه المرء لكى يحكم بأن المعرفة أو النظرية حقيقة أو لا ، ليس هو الأحاسيس الذاتية بل هو النتائج الموضوعية للممارسة العملية الاجتماعية . فالمقياس الوحيد لمعرفة الحقيقة هو الممارسة العملية الاجتماعية . ان وجهة نظر الممارسة العملية هى وجهة النظر الأولية والأساسية فى النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة (٢) .

ولكن كيف تنبثق المعرفة البشرية عن الممارسة العملية ثم نعود لتخدم الممارسة العملية ؟ سيتضح لنا هذا الأمر اذا ألقينا نظرة على عملية تطور المعرفة .

الواقع أن الانسان لا يرى فى بداية عملية الممارسة العملية سوى ظواهر الأشياء وجزئياتها والروابط الخارجية التى تربط بينها . ومثال ذلك أن بعض الزوار يحضرون يانآن للوقوف على الأحوال فيها . ففى الأيام الأولى يرون موقعها وشوارعها ومبانيها ويقابلون عددا كبيرا من الناس ويحضرون الولائم والحفلات المسائية والاجتماعات الجماهيرية ويسمعون أحاديث مختلفة ويقرأون وثائق متعددة — كل هذه هى ظواهر الأشياء وجزئياتها والروابط الخارجية التى تربط بينها . ونسمى هذه المرحلة بالمرحلة الحسية من المعرفة ، أى مرحلة الاحساسات والانطباعات . وهذا يعنى أن هذه الأشياء المعينة فى يانآن تترك أثرا فى حواس السادة أعضاء الوفد الزائر وتثير أحاسيسهم وتترك فى أذهانهم انطباعات عديدة وصورة عامة عن الروابط الخارجية بين هذه الانطباعات ، هذه هى المرحلة الأولى من المعرفة . ولا يستطيع الانسان بعد فى هذه المرحلة تكوين مفاهيم عميقة ولا استخلاص نتائج منطقية .

وباستمرار الممارسة العملية الاجتماعية ، تتكرر مرارا الأشياء التى تترك أحاسيس وانطباعات فى حواس الانسان فى مجرى ممارسته العملية ، وعندئذ يحدث فى ذهن الانسان تبدل مفاجيء (قفزة) فى عملية المعرفة وتتكون المفاهيم . فعند ذلك لم تعد المفاهيم ظواهر الأشياء ولا جزئياتها ولا الروابط الخارجية التى تربط بينها ، بل هى ادراك تام لجوهر الأشياء وكمياتها وروابطها الداخلية . ان المفهوم والاحساس لا يختلفان كليا فحسب بل كيفيا أيضا . واذا مضى الانسان على هذا النحو واستخدم طريقة الحكم والاستدلال استطاع أن يتوصل الى استنتاجات تتفق مع المنطق . ان عبارة

« قطب حاجبيه فتفتق ذهنه عن حيلة » التي نقرأها في « قصة الممالك الثلاث » (٣) ، و« التفكير » في عبارة « دعنى أفكر » في لغتنا المتداولة تعبران عن عملية الحكم والاستدلال التي يقوم بها الانسان في عقله مستعينا بالمفاهيم . وهذه هي المرحلة الثانية من المعرفة . ان السادة أعضاء الوفد الزائر ، بعد أن يجمعوا معلومات مختلفة و« يفكروا فيها » ، يستطيعون أن يتوصلوا الى الحكم التالى : « ان سياسة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التي يدعو اليها الحزب الشيوعى هي سياسة حازمة وصادقة وحقيقية » . وبعد التوصل الى هذا الحكم يمكنهم ، اذا كانوا مخلصين كذلك للوحدة من أجل انقاذ الوطن ، أن يتقدموا خطوة أخرى ويصلوا الى هذه النتيجة : « ان فى استطاعة الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان أن تتكامل بالنجاح . » ان مرحلة تكوين المفاهيم والحكم والاستدلال هي مرحلة أكثر أهمية فى كل عملية المعرفة البشرية بشيء ما ، وهي مرحلة المعرفة العقلية . ان المهمة الحقيقية للمعرفة تكمن فى التقدم الى التفكير عن طريق الاحساس والى الادراك التدريجى للتناقضات الكامنة فى داخل الأشياء الموضوعية ولقوانينها والروابط الداخلية التي تربط بين عملية وأخرى ، أى التوصل الى المعرفة المنطقية . دعونى أكرر : ان السبب فى اختلاف المعرفة المنطقية عن المعرفة الحسية يعود الى أن المعرفة الحسية تتعلق بجزئيات الأشياء وظواهرها وروابطها الخارجية ، فى حين أن المعرفة المنطقية تتقدم بالمعرفة الحسية خطوة كبيرة الى الأمام فتتوصل الى ادراك كليات الأشياء وجوهرها وروابطها الداخلية وتكتشف التناقضات الكامنة فى العالم الخارجى ، وبهذا فان المعرفة المنطقية تتمكن من تفهم تطور العالم الخارجى فى مجموعه وفى الروابط الداخلية بين جميع جوانبه .

ان هذه النظرية المادية الديالكتيكية عن عملية تطور المعرفة ، التي تقوم على أساس الممارسة العملية ، والقائلة بتطور المعرفة من معرفة سطحية الى

معرفة عميقة ، لم يتوصل اليها أحد على هذا النحو قبل ظهور الماركسية . ولقد حلت نظرية المادية الماركسية لأول مرة هذه المشكلة حلا صحيحا ، اذ بينت بأسلوب مادي وديالكتيكي حركة تعمق المعرفة ، حركة تقدم الانسان ، ككائن اجتماعي ، من المعرفة الحسية الى المعرفة المنطقية خلال ممارساته العملية المعقدة والمتكررة باستمرار في الانتاج والصراع الطبقي . قال لينين : « ان تجريدات المادة وأحد قوانين الطبيعة والقيمة . . الخ ، وباختصار كل تجريد علمي (صحيح وجدى وليس باطلا) ، ليعكس الطبيعة بصورة أعمق وأصدق وأكمل . » (٤) ان الماركسية اللينينية ترى أن لكل من مرحلتى عملية المعرفة خصائصها ، وهى أن المعرفة فى مرحلتها الدنيا تتميز بأنها حسية ، وفى مرحلتها العليا تتميز بأنها منطقية ، ومع ذلك فكلتاهما مرحلة فى عملية واحدة من المعرفة . ان الاحساس والعقل يختلفان من حيث الطبيعة ولكن لا يفصل أحدهما عن الآخر ، انهما موحدان على أساس الممارسة العملية . ان ممارستنا العملية تثبت أن ما نحسه لا يمكن أن ندركه على الفور ، وأن ما ندركه هو وحده الذى يمكن أن نحسه بصورة أعمق . ان الاحساس لا يحل سوى مسألة الظواهر ، والنظرية وحدها تستطيع حل مسألة الجوهر . بيد أن هاتين المسألتين لا يمكن حلهما بأى حال من الأحوال بمعزل عن الممارسة العملية . فاذا أراد أى شخص أن يفهم أى شىء من الأشياء ، فليس له من سبيل الى ذلك سوى الاحتكاك بهذا الشىء ، أى العيش (الممارسة العملية) فى محيطه . فقد كان من المستحيل على المرء أن يدرك مقدما قوانين المجتمع الرأسمالى وهو يعيش فى المجتمع الاقطاعي ، اذ أن الرأسمالية لم تكن قد ظهرت بعد ، ولذلك فان الممارسة العملية التى تتفق معها لم تكن قد وجدت أيضا . ان الماركسية لا يمكن أن تظهر الى الوجود الا كنتاج للمجتمع الرأسمالى . ولم يكن بمقدور ماركس ، فى عصر الرأسمالية الحرة ، أن يدرك مقدما

وبصورة محددة بعض القوانين الخاصة بعصر الامبريالية ، اذ أن الامبريالية — آخر مراحل الرأسمالية — لم تكن قد ظهرت بعد الى حيز الوجود ، وكذلك للممارسة العملية التي تتفق معها لم تكن قد ظهرت بعد ، فكان في استطاعة لينين وستالين وحدهما الاضطلاع بهذه المهمة . اذا استثنينا شرط العبقرية فان للسبب الرئيسي في قدرة ماركس وانجلز ولينين وستالين على صياغة نظرياتهم يعود الى مساهمتهم شخصيا في ممارسة الصراع الطبقي والتجربة العلمية في زمانهم . ولولا وجود هذا الشرط الأخير لما استطاع أى عبقرى أن يحرز النجاح . ان القول السائر « يستطيع المثقف أن يعرف كل ما يجرى في العالم دون أن يتخطى عتبة داره » ، كان في العصور القديمة المتأخرة تكتيكيا ليس الا عبارة جوفاء بعيدة عن الواقع ، أما في عصرنا المتطور تكتيكيا ، فعلى الرغم من أن هذا القول قد يصبح حقيقة واقعة ، الا أن الذين يملكون المعرفة المباشرة الحقيقية هم من ينخرطون في الممارسة العملية من سكان العالم . يكتسب هؤلاء الناس « المعرفة » خلال ممارستهم العملية ثم تنقل الى « المثقف » بواسطة الكتابة والوسائل التكنيكية ، وعندئذ فقط يستطيع المثقف أن « يعرف كل ما يجرى في العالم » بطريقة غير مباشرة . واذا ما أردت أن تعرف بصورة مباشرة شيئا من الأشياء أو عدة أشياء ، فلا بد لك أن تساهم شخصيا في النضال العملي الذي يهدف الى تغيير الواقع — تغيير ذلك الشيء أو تلك الأشياء ، وعندئذ تستطيع أن تحتك بظواهر ذلك الشيء أو تلك الأشياء ، كما أنك لا تستطيع أن تكشف وتفهم جوهر ذلك الشيء أو تلك الأشياء الا عن طريق المساهمة الشخصية في النضال العملي الذي يهدف الى تغيير الواقع . هذه هي طريق المعرفة التي يسلكها كل امرئ بالفعل ، غير أن بعض الناس يزعمون عكس ذلك عامدين الى تشويه الأمور . وأكثر الناس مدعاة للسخرية هو « العالم » الذي ما ان يلتقط فتاتا من المعرفة عن طريق السماع حتى يعتبر

نفسه « العلامة الفريد في العالم » ، وهو أمر لا يدل الا على عجزه عن تقدير نفسه تقديرا صحيحا . ان المعرفة هي مسألة علم ، فلا يجوز أن يصاحبها أدنى شيء من الكذب والغرور ، بل المطلوب هو العكس بكل تأكيد أى الصدق والتواضع . اذا أردت اكتساب المعرفة فلا بد أن تشارك في الممارسة العملية التي تهدف الى تغيير الواقع ، فاذا رغبت في معرفة طعم الكمثرى فلا بد أن تغير الكمثرى ، أى تأكلها بنفسك ، واذا أردت أن تعرف تركيب الذرة وخصائصها فلا بد أن تقوم بتجارب فيزيائية وكيميائية بغية تغيير حالة الذرة ، واذا أردت أن تعرف نظرية الثورة وطرائقها فلا بد أن تشترك في الثورة . ان جميع المعارف للحقة تنبع من التجربة المباشرة . ولكن يستحيل على المرء أن يجرب كل شيء تجربة مباشرة ، والواقع أن معظم معارفنا قد حصلنا عليها من التجربة غير المباشرة ، وأعني بها كل المعارف المكتسبة في العصور القديمة والبلدان الأجنبية . وهذه المعارف مكتسبة من التجربة المباشرة عند القدامى والأجانب ، فاذا كانوا اكتسبوها في مجرى تجربتهم المباشرة على نحو متفق مع شرط « التجريد العلمي » الذي تحدث عنه لينين وكانت تعكس الأشياء الموضوعية بصورة علمية ، فهي معارف يركن اليها ، والافهى ليست كذلك . وهكذا فان معرفة الانسان لا تعدو هذين القسمين : التجربة المباشرة والتجربة غير المباشرة . وفضلا عن ذلك فان ما هو تجربة غير مباشرة عند شخص معين هو عند غيره تجربة مباشرة . وهكذا فان المعرفة من أى نوع كانت ، اذا اعتبرنا المعرفة ككل ، لا يمكن أن تنفصل عن التجربة المباشرة . ان كل معرفة هي تنبع من احساس الانسان بالعالم الموضوعى بواسطة حواسه . ومن ينكر الاحساس وينكر التجربة المباشرة وينكر المساهمة الشخصية في الممارسة العملية الرامية الى تغيير الواقع ، فهو ليس بمادى . وهذا هو السبب في أن « العالم » يبعث على السخرية . وهناك مثل صيني قديم يقول :

« كيف تستطيع أن تحصل على أشبال النمر اذا لم تدخل عربته ؟ » وهذا القول يعتبر حقيقة تنطبق على الممارسة العملية التي يباشرها الانسان ، وكذلك على نظرية المعرفة . فلا يمكن أن تكون هناك معرفة منعزلة عن الممارسة العملية . وفي سبيل ايضاح حركة المعرفة المتفقة مع المادية الديالكتيكية والقائمة على أساس الممارسة العملية التي تهدف الى تغيير الواقع — حركة التعمق المتدرج للمعرفة ، نقدم فيما يلي بضعة أمثلة محددة أخرى .

فيما يتعلق بمعرفة المجتمع الرأسمالي فان البروليتاريا ، خلال الفترة الأولى من ممارستها العملية — فترة تخريب الآلات والنضال العفوى ، كانت لا تزال في مرحلة المعرفة الحسية ، اذ لم تكن قد عرفت سوى بعض الجوانب والروابط الخارجية لظواهر الرأسمالية . وفي ذلك الوقت كانت البروليتاريا لا تزال « طبقة في ذاتها » . ولكن حينما بلغت هذه الطبقة الفترة الثانية من ممارستها العملية — فترة النضال الاقتصادي والنضال السياسي الواعين والمنظمين ، تمكنت من ادراك جوهر المجتمع الرأسمالي وعلاقات الاستغلال بين الطبقات الاجتماعية ومهمة البروليتاريا التاريخية ، بفضل ممارستها العملية وتجاربها المكتسبة في نضالات طويلة الأمد ، وبفضل تثقفها بالنظرية الماركسية التي هي نتاج لما قام به ماركس وانجلز من تلخيص لهذه التجارب المتنوعة وفق أسلوب علمي ، وعندئذ أصبحت هي « طبقة لذاتها » .

وينطبق نفس الحال على معرفة الشعب الصيني بالامبريالية . فقد كانت المرحلة الأولى من معرفته بها مرحلة معرفة حسية وسطحية تجلت في نضالاته المنطلقة من كراهيته للأجانب دون تمييز كحركة مملكة التايينغ السماوية وحركة يي خه توان وغيرها من الحركات . ولم يبلغ الشعب الصيني مرحلة المعرفة العقلية الا في المرحلة الثانية عندما اتضحت له مختلف التناقضات الداخلية والخارجية للامبريالية ، وتجلت له حقيقة تحالف الامبريالية مع

الطبقة الكومبرادورية والطبقة الاقطاعية في الصين في سبيل امتصاص دماء الجماهير الغفيرة من الشعب الصيني. ولم تبدأ هذه المعرفة الا أيام ما قبل حركة ٤ مايو (أيار) ١٩١٩ (٥) وما بعدها .

ولننظر الآن الى الحرب . اذا كان أولئك الذين يوجهون عمليات الحرب يفتقرون الى الخبرة العسكرية فانهم لن يفهموا في المرحلة البدائية القوانين المتسمة بالعمق والتي تتحكم في حرب معينة (مثل حرب الثورة الزراعية التي خضناها في السنوات العشر المنصرمة) . فهم لا يمرون في المرحلة البدائية الا بتجارب معارك عديدة بل ويتعرضون كثيرا للهزائم . ولكن هذه التجارب (تجارب المعارك الظافرة وعلى الأخص تجارب المعارك الخاسرة) سوف تمكنهم من أن يدركوا ما يكمن في تلك الحرب كلها ويتحكم فيها ، أى قوانين تلك الحرب المعينة ، ويفهموا ما يجب اتخاذه من استراتيجية وتكتيك ، وبالتالي يستطيعون أن يوجهوا هذه الحرب بقلوب مفعمة بالثقة . واذا ما حل محلهم في مثل هذا الوقت أشخاص آخرون عديمو الخبرة لتوجيهها ، فانهم لن يستطيعوا هم الآخرون أن يفهموا القوانين الحقيقية للحرب الا بعد ما يعانون عددا من الهزائم (أى بعد ما يكتسبون خبرة) .

كثيرا ما نسمع بعض الرفاق يقول حينما لا يجرؤ على قبول عمل يوكل اليه : « لا أملك الثقة » . ولم لا يملك الثقة ؟ لأنه لا يفهم مضمون هذا العمل وظروفه بصورة منتظمة ، أو لأنه لم يحتك بهذا النوع من العمل مطلقا أو لم يحتك به الا قليلا ، وبالتالي فلا يستطيع التحدث عن القوانين التي تتحكم في هذا العمل . فاذا حلت له طبيعة العمل وظروفه تحليلا مفصلا فانه سيكتسب نوعا من الثقة ويرغب في القيام به . ثم اذا اكتسب هذا الشخص تجربة بشأن هذا العمل بعد أن قام به فترة من الزمن ، وكان فضلا عن ذلك يجهد في النظر الى الأمور بدون تحيز أو تعصب ، وليس ممن ينظرون الى القضايا وفقا لتصوراتهم

الذاتية ومن زاوية واحدة وبصورة سطحية ، فسوف يستطيع أن يستخلص بذاته النتائج بشأن كيفية القيام بعمله ، وعندئذ ستزداد جرأته على العمل للدرجة كبيرة . ان الذين ينظرون الى الأمور وفقا لتصوراتهم الذاتية ومن زاوية واحدة وبصورة سطحية هم وحدهم الذين ما ان يصلون الى مكان ما حتى يتسرعوا ، مستبدلين بآرائهم ، في اصدار الأوامر والتوجيهات حول أمر من الأمور دون أن ينظروا الى الظروف المحيطة بذلك الأمر ولا الى الأمر في مجموعه (أى الى تاريخه ووضعه الراهن من جميع جوانبه) ، وقبل أن يصلوا الى جوهر الأمر (أى طبيعته والروابط الداخلية بينه وبين الأمور الأخرى) ، ان أمثال هؤلاء لا بد أن يتعثروا ويسقطوا .

وهكذا نجد أن الخطوة الأولى في عملية المعرفة هي الاحتكاك بالأشياء الموجودة في العالم الخارجى ، وهذه هي مرحلة الاحساس . أما الخطوة الثانية فهي تجميع المعطيات الحسية وترتيبها وصهرها ، وهذه هي مرحلة تكوين المفاهيم والحكم والاستدلال . ونحن لا نستطيع تكوين مفاهيم صائبة والتوصل الى منطق سليم على أساس المعطيات الحسية الا اذا كانت هذه المعطيات غنية جدا (ليست جزئية أو ناقصة) ومتفقة مع الواقع (ليست وهمية أو كاذبة) .

وينبغى هنا أن نركز على نقطتين هامتين ، فأولاهما قد ذكرت فيما سبق ولكن يجب تكرارها هنا ، ألا وهي مسألة توقف المعرفة العقلية على المعرفة الحسية . فمن يحسب أنه يمكن للمعرفة العقلية ألا تنبع من المعرفة الحسية فهو مثالى . وفي تاريخ الفلسفة يوجد ما يدعى بـ « المذهب العقلى » الذى يعترف فقط بحقيقة العقل ولا يعترف بحقيقة التجربة اذ يعتبر أن العقل وحده يمكن الركون اليه ، أما التجربة الحسية فلا يمكن الركون اليها . ان خطأ هذا المذهب يكمن فى أنه قلب الحقائق رأسا على عقب . وكون المعرفة العقلية يمكن الركون

اليها يعود ، على وجه التحديد ، الى أنها تابعة من الادراك الحسى ، والا لأصبحت ماء دون ينبوع أو شجرة دون جذور ، شيئا انما نشأ فى ذهنه بصورة عفوية ، شيئا لا يمكن الركون اليه . واذا نظرنا الى تسلسل عملية المعرفة وجدنا التجربة الحسية تأتى أولا ، والسبب فى أننا نشدد على أهمية الممارسة العملية الاجتماعية فى عملية المعرفة يعود بالضبط الى أن الممارسة العملية الاجتماعية وحدها تمكن الانسان من البدء فى تحصيل المعرفة وتحصيل التجربة الحسية من العالم الموضوعى . أما المرء الذى ينفصل كليا عن العالم الموضوعى مغمضا عينيه وسادا أذنيه ، فلا يمكن أن تكون لديه أية معرفة . ان المعرفة تبدأ مع التجربة وهذه هى المادية حول نظرية المعرفة .

أما النقطة الثانية فهى حاجة المعرفة الى التعمق ، أى حاجة المعرفة الى التطور من المرحلة الحسية الى مرحلة عقلية - هذا هو الديالكتيك حول نظرية المعرفة (٦) . فاذا ظن المرء أن المعرفة يمكن أن تتوقف عند المرحلة الحسية ، وهى مرحلة دنيا ، وأن المعرفة الحسية هى وحدها التى يعتمد عليها من دون المعرفة العقلية ، فان هذا يعنى تكرارا لأخطاء «المذهب التجريبي» فى الماضى . ان أخطاء هذه النظرية تكمن فى عجزها عن فهم الحقيقة التالية : على الرغم من أن المعطيات الحسية تعكس بعض الحقائق فى العالم الموضوعى (لا أتحدث هنا عن المذهب التجريبي المثالى الذى يقصر التجربة على ما يدعى بالتأمل الباطنى) ، الا أنها مجرد معطيات جزئية وسطحية لا تعكس الأشياء بصورة كاملة ، معطيات لا تعكس جوهر الأشياء . فلكى يعكس شىء بكامله ويعكس جوهره وقوانينه الباطنية ، لا بد من صهر تلك المعطيات الحسية الغنية عن طريق التفكير باستبعاد ما هو قليل الأهمية منها واستخلاص ما هو عظيم النفع ، ونبد الكاذب منها وإبقاء للصحيح المعتمد عليه ، ثم الربط بين هذه المعطيات والنفوذ من ظواهر الأشياء الى دخالها وخفاياها ، وذلك لأجل تكوين

مفاهيم ونظريات في شكل منسق ، أى لا بد من تحقيق قفزة من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلية . وان هذه المعرفة التى تم صهرها لم تصبح معرفة أكثر بعدا عن الواقع وأقل أهلية لأن يركن اليها ، بل هى على نقيض ذلك اذ أن كل ما تم صهره خلال عملية المعرفة بصورة علمية وعلى أساس الممارسة العملية هو كما قال لينين ، يعكس الواقع الموضوعى بصورة أعمق وأصدق وأكمل . أما أصحاب العمل الروتينى الضيقو التفكير فهم يتصرفون عكس ذلك ، اذ أنهم يقدسون التجربة بينما يحتقرون النظرية ، ونتيجة لهذا يعجزون عن ادراك العملية الموضوعية ككل فيفتقرون الى الاتجاه الواضح والنظرة البعيدة المدى ، ويرتضون بالنجاحات الوقتية والنظرات الضيقة . واذا قام أمثال هؤلاء بتوجيه الثورة فسيقودونها الى زقاق مسدود .

ان المعرفة العقلية تعتمد على المعرفة الحسية ، والمعرفة الحسية فى حاجة الى التطور الى معرفة عقلية ، هذه هى النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة . وفى مجال الفلسفة ، يعجز كل من « المذهب العقلى » و « المذهب التجريبي » عن ادراك الصفة التاريخية أو الديالكتيكية للمعرفة ، وعلى الرغم من أن كلا منهما يحتوى على جانب من الحقيقة (والمقصود هنا المذهب العقلى والمذهب التجريبي الماديان لا المثاليان) ، فكلاهما خاطئ فى مجال نظرية المعرفة فى مجموعها . ان حركة تطور المعرفة من المرحلة الحسية الى المرحلة العقلية هذه الحركة المتفقة مع المادية الديالكتيكية ، تنطبق على عملية صغيرة من المعرفة (مثلا معرفة شىء من الأشياء أو عمل من الأعمال) ، وكذلك تنطبق على عملية كبيرة من المعرفة (مثلا معرفة مجتمع من المجتمعات أو ثورة من الثورات) . بيد أن حركة المعرفة لا تتوقف عند هذا الحد . فاذا ما توقفت الحركة المادية الديالكتيكية الخاصة بالمعرفة عند المرحلة العقلية ، فانها لم تتناول من المشكلة الا نصفها . وهى عند الفلسفة الماركسية لم تتناول الا ذلك النصف

الذى لا يتمتع بأهمية عظمى . ان الفلسفة الماركسية تعتبر أن المسألة البالغة الأهمية ليست في معرفة قوانين العالم الموضوعى وبالتالي في اكتساب القدرة على تفسيره ، بل هي في استخدام هذه المعرفة في تبديل العالم بصورة فعالة . فالنظرية من وجهة نظر الماركسية هي مهمة ، وتتجلى أهميتها في قول لينين : « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية . » (٧) ولكن السبب في أن الماركسية تؤكد على أهمية النظرية يعود بالضبط ، بل يعود فقط الى أنها تستطيع توجيه العمل . فاذا كنا نملك نظرية صحيحة ونكتفى بأن نجعل منها موضوعا لأحاديث لا طائل منها أو نضعها على الرف ولا نطبقها عمليا ، فستصبح هذه النظرية ، مهما كانت سديدة ، عديمة الأهمية . ان المعرفة تبدأ من الممارسة العملية ، والمعرفة النظرية التي يتم اكتسابها عن طريق الممارسة العملية ، يجب أن تعاد الى الممارسة العملية مرة أخرى . ان الدور الفعال للمعرفة لا يتجلى في القفزة الفعالة من المعرفة الحسية الى المعرفة العقلية فحسب ، بل ينبغي أن يتجلى أيضا - وهذا أكثر أهمية - في القفزة من المعرفة العقلية الى الممارسة العملية الثورية . ان المعرفة التي تمكنا من استيعاب قوانين العالم يجب أن تعاد الى الممارسة العملية في سبيل تبديل العالم ، يجب أن تعاد لتطبق في ممارسة الانتاج وفي ممارسة الصراع الطبقي الثورى والنضال الوطنى الثورى وكذلك في ممارسة التجارب العلمية . هذه هي عملية اختبار النظرية وتطويرها ، هي تكملة لعملية للمعرفة . ان مسألة ما اذا كانت نظرية ما منطبقة مع الحقائق الموضوعية أو لا ، لم تحل تماما ، ولا يمكن أن تحل تماما ، أثناء حركة تطور المعرفة من المرحلة الحسية الى المرحلة العقلية التي تحدثنا عنها آنفا . والطريقة الوحيدة لحل هذه المسألة حلا تاما هي اعادة المعرفة العقلية الى الممارسة العملية الاجتماعية ، وتطبيق النظرية على الممارسة العملية ، لمعرفة ما اذا كانت هذه النظرية توصلنا الى الهدف المنشود . ان كثيرا من نظريات

العلوم الطبيعية تعتبر حقائق ، ليس فقط لأنها اعتبرت هكذا عندما وضعها العلماء الطبيعيون ، بل لأن الممارسة العملية العلمية دلت بعد ذلك على صحتها أيضا . وكذلك تعتبر الماركسية اللينينية حقيقة ، ليس فقط لأنها اعتبرت هكذا عندما صاغ تعاليمها ماركس وانجلز ولينين وستالين بطريقة علمية ، بل كذلك لأن الممارسة العملية للصراع الطبقي الثوري والنضال الوطني الثوري قد أثبتت صحتها فيما بعد . ان المادية الديالكتيكية حقيقة عامة ، ذلك لأنه ما من أحد يستطيع في ممارسته العملية الخروج عن اطارها . ويدلنا تاريخ المعرفة البشرية على أن كثيرا من النظريات كانت ناقصة اذا اعتبرت حقائق ، بيد أن هذا النقص أصلح عن طريق اختبارها في الممارسة العملية . وان كثيرا من النظريات كانت خاطئة ، ولكن صححت أخطاءها عن طريق اختبارها في الممارسة العملية . ولهذا السبب بالذات نقول ان الممارسة العملية هي مقياس الحقيقة ، وان « وجهة نظر الحياة والممارسة العملية ، يجب أن تكون وجهة النظر الأولية والأساسية في نظرية المعرفة » (٨) . لقد أصاب ستالين عندما قال : « ان النظرية تصبح عديمة الهدف اذا لم ترتبط بالممارسة العملية الثورية ، وكذلك شأن الممارسة العملية فانها ستصبح ممارسة على غير هدى اذا لم تنر طريقها نظرية ثورية . » (٩)

فهل تكتمل حركة المعرفة عند هذا الحد ؟ ان جوابنا هو الايجاب والنفي . فحين يباشر أفراد المجتمع الممارسة العملية بهدف تغيير عملية موضوعية محددة (طبيعية كانت أم اجتماعية) في مرحلة معينة من تطورها ، يستطيعون ، نتيجة لانعكاس العملية الموضوعية في أذهانهم وبفعل فعاليتهم الذاتية ، أن يدفعوا معرفتهم من المرحلة الحسية الى المرحلة العقلية ، وأن يكونوا أفكارا ونظريات ويضعوا خططا ومشاريع تتفق على وجه العموم مع قوانين تلك العملية الموضوعية ، ثم يضعون هذه الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع

موضع التنفيذ في نفس العملية الموضوعية ، فاذا نجحوا في تحقيق الأهداف المنشودة ، أى اذا استطاعوا ، أثناء الممارسة في نفس هذه العملية ، أن يحولوا ما صاغوه سلفا من الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع الى حقائق واقعة ، أو استطاعوا ذلك بصورة عامة ، يمكن عندئذ أن تعتبر حركة المعرفة مكتملة بالنسبة لهذه العملية المعينة . مثال ذلك انجاز مشروع هندسى أو اثبات افتراض علمى أو صنع آلة أو حصاد غلة زراعية في مجرى تغيير الطبيعة ؛ وانجاح اضراب أو انتصار حرب أو انجاز خطة تعليمية في مجرى تغيير المجتمع ، وكل ذلك يمكن اعتباره تحقيقا للأهداف المنشودة . ولكن يندر على وجه العموم أن تتحقق الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع التى صاغها الناس سلفا ، دون أدنى تغيير ، سواء أكان ذلك عند الممارسة العملية للرامية الى تغيير الطبيعة أم تغيير المجتمع . والسبب في هذا يعود الى أن الذين يباشرون تغيير الواقع يخضعون عادة لكثير من القيود ، فهم مقيدون عادة لا بالامكانيات العلمية والتكنيكية فحسب ، بل هم مقيدون كذلك بدرجة تطور العملية الموضوعية وانكشافها (أى أن أوجه العملية الموضوعية وجوهرها لم تكشف بعد بصورة تامة) . وفي مثل هذه الحال ، كثيرا ما يحدث أن تعدل الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع تعديلا جزئيا بل تعديلا كليا في بعض الأوقات ، وذلك بسبب اكتشاف الناس خلال الممارسة العملية أوضاعا لم يتوقعوها سلفا . وهذا يعنى أن هناك حالات تتعارض فيها الأفكار والنظريات والخطط والمشاريع الأصلية مع الواقع جزئيا أو كليا ، وهى لذلك خاطئة جزئيا أو كليا . ولا بد في كثير من الحالات أن يتكرر الاخفاق مرات عديدة قبل امكان تصحيح الأخطاء في المعرفة وجعل هذه المعرفة تتفق مع قوانين العملية الموضوعية بحيث يمكن تحويل الشيء الذاتى الى شيء موضوعي ، أى تحقيق النتائج المنشودة خلال الممارسة العملية . وعلى كل

حال فان حركة معرفة الناس لعملية موضوعية محددة في مرحلة معينة من تطورها يمكن أن تعتبر مكتملة في هذا الوقت .

ولكن اذا ما أخذنا بعين الاعتبار تقدم العملية فان حركة معرفة الناس لا تكتمل عند هذا الحد . فكل عملية ، سواء أكانت في الطبيعة أم في المجتمع ، تتقدم وتتطور بفعل تناقضاتها الداخلية والصراعات الناتجة عنها ، ولا بد لحركة المعرفة البشرية أن تتقدم وتتطور أيضا وفقا لذلك . وفيما يتعلق بالحركات الاجتماعية فانه يجب على القادة الثوريين الحقيقيين أن يحسنوا تصحيح أفكارهم ونظرياتهم وخططهم ومشاريعهم حين تبرز فيها الأخطاء ، كما قلنا آفا ، وليس هذا فحسب بل عليهم كذلك ، كلما تقدمت عملية موضوعية معينة وتحولت من مرحلة الى مرحلة أخرى من مراحل التطور ، أن يقدرُوا على تمكين أنفسهم وجميع المشتركين في الثورة من التقدم والتحول في معرفتهم الذاتية وفقا لذلك ، أى يجب عليهم أن يضعوا مهمات ثورية جديدة وبرامج عمل جديدة وفقا للتبدلات الجديدة التي تطرأ على الوضع . ان الوضع يتبدل سريعا في الفترات الثورية ، فاذا لم تتبدل معرفة الثوريين بسرعة وفقا لذلك فلن يكون في استطاعتهم قيادة الثورة الى النصر .

بيد أنه كثيرا ما يحدث أن يتخلف التفكير عن الواقع ، والسبب في ذلك يعود الى أن معرفة الانسان مقيدة بظروف اجتماعية عديدة . اننا نعارض المتعنتين في صفوف الثورة ، اذ أن تفكيرهم يعجز عن مجاراة تغيرات الظروف الموضوعية فأظهروا أنفسهم تاريخيا في صورة الانتهازية اليمينية . ان هؤلاء الناس لا يدركون أن صراع التناقضات قد دفع العملية الموضوعية الى الأمام ، فبقيت معرفتهم في مرحلتها القديمة . هذه هي الخاصية الملازمة لتفكير جميع المتعنتين . وبما أن تفكيرهم ينفصل عن الممارسة العملية الاجتماعية ، فلا يمكنهم أن يتقدموا ليقودوا عجلة المجتمع ، وكل ما يمكنهم عمله هو أن يتخلفوا وراء

العجلة متذمرين من سرعتها الفائقة ومحاولين جرّها الى الوراء أو تحويلها في الاتجاه المعاكس .

ونحن نعارض كذلك ثرثرة « اليساريين » الفارغة . اذ أن تفكيرهم يتخطى المرحلة المعنية من مراحل تطور العملية الموضوعية ، فيحسب بعضهم الأوهام التي يحملونها كأنها حقائق ، وآخرون منهم يتكلفون في الوقت الحاضر تحقيق مثل أعلى لا يمكن أن يتحقق الا في المستقبل ، منغزلين عن الممارسة العملية الراهنة التي تباشرها غالبية الناس وعن الواقع الحالى ، ويتجسد تفكيرهم هذا عمليا في صورة المغامرة .

ان المثالية والمادية الميكانيكية والانتهازية والمغامرة تتميز جميعها بفصل التفكير الذاتى عن الواقع الموضوعى ، وفصل المعرفة عن الممارسة العملية . فلا يوسع النظرية الماركسية اللينينية عن المعرفة التي تتميز بالممارسة الاجتماعية العلمية الا أن تعارض هذه الايديولوجيات الخاطئة معارضة حازمة . ان الماركسيين يعترفون بأن تطور كل عملية محددة ضمن نطاق عملية التطور العام المطلق للكون هو تطور نسبي ، ولهذا فان معرفة الناس بكل عملية محددة أثناء مرحلة معينة من التطور لا يمكن أن تكون سوى حقيقة نسبية في مجرى الحقيقة المطلقة اللامحدود . ان مجموع الحقائق النسبية التي لا حصر لها يشكل الحقيقة المطلقة (١٠) . ان تطور العملية الموضوعية تطور مليء بالتناقضات والصراعات وكذلك شأن تطور حركة المعرفة البشرية . وان جميع الحركات الديالكتيكية في العالم الموضوعى يمكن أن تنعكس عاجلا أم آجلا في المعرفة البشرية . ونظرا لأن عملية النشوء والتطور والفناء في الممارسة العملية الاجتماعية هي عملية لا متناهية ، فان عملية النشوء والتطور والفناء في المعرفة البشرية هي أيضا كذلك . وبما أن الممارسة العملية التي يقوم بها الناس لتغيير الواقع الموضوعى وفقا لأفكار ونظريات وخطط ومشاريع معينة هي في تقدم

مستمر ، فان معرفتهم بالواقع الموضوعي تتعمق كذلك أكثر فأكثر . ونظرا لأن حركة التغيير في عالم الواقع الموضوعي لا تنتهي أبدا ، فان المعرفة التي يكتسبها الناس عن الحقيقة خلال ممارستهم العملية لا تنتهي أبدا كذلك . ان الماركسية اللينينية لم تختتم الحقيقة ، بل انها تشق دون توقف الطريق لمعرفة الحقيقة خلال الممارسة العملية . والنتيجة التي استخرجناها هي الوحدة التاريخية المحددة بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي ، بين النظرية والممارسة العملية ، بين المعرفة والعمل ، وعليه فنحن نعارض كل الايديولوجيات الخاطئة التي تنفصل عن التاريخ المحدد ، « يسارية » كانت أم يمينية .

لقد وضع التاريخ ، في المرحلة الراهنة من تطور المجتمع ، على عاتق البروليتاريا وحزبها مسؤولية معرفة العالم معرفة صحيحة وتبديل العالم . وان عملية ممارسة تبديل العالم هذه العملية التي تم تحديدها بناء على المعرفة العلمية قد بلغت في العالم وفي الصين على حد سواء ، لحظة تاريخية عظيمة لم يشهدها تاريخ البشرية ، لحظة ستبدد فيها البشرية تماما الظلام الذي يخيم على العالم وعلى الصين وتحل محله عالما وضاء لم ير التاريخ مثيلا له . ان نضال البروليتاريا والشعوب الثورية من أجل تغيير العالم يتضمن انجاز المهمات التالية : تغيير العالم الموضوعي وفي الوقت نفسه تغيير عالمهم الذاتي - تغيير مقدرتهم على اكتساب المعرفة وتغيير العلاقات بين العالم الذاتي والعالم الموضوعي . وقد بدأ تحقيق مثل هذا التغيير في جزء من الكرة الأرضية أي في الاتحاد السوفياتي . ولا يزال الشعب هناك يقوم بدفع عملية هذا التغيير الى الأمام . أما الشعب الصيني وسائر شعوب العالم فهي بدورها تمر الآن ، أو ستمر في المستقبل ، بمثل هذه العملية . وهذا العالم الموضوعي الذي يجري تغييره يشتمل على جميع المعارضين لهذا التغيير الذين لا بد أن يمروا بمرحلة من التغيير الاجباري قبل أن يدخلوا مرحلة التغيير الواعي . وعندما

تبلغ البشرية جميعها مرحلة تغير فيها نفسها والعالم تغييرا واعيا ، يكون العالم قد دخل عصر الشيوعية .

اكتشاف الحقيقة عن طريق الممارسة العملية ، واثبات وتطوير الحقيقة عن طريق الممارسة العملية مرة ثانية . الانطلاق من المعرفة الحسية وتطويرها بصورة فعالة الى المعرفة العقلية ، ثم الانطلاق من المعرفة العقلية لتوجيه الممارسة العملية الثورية بصورة فعالة في سبيل تغيير العالم الذاتي والعالم الموضوعي . الممارسة العملية ، ثم المعرفة ، والعودة الى الممارسة العملية ثانية ، ثم المعرفة أيضا ، وهكذا تتكرر العملية الى ما لا نهاية له ، ومع كل دورة يرتفع مضمون الممارسة العملية والمعرفة الى مستوى أعلى . هذه هي كل النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة ، وهذه هي النظرية المادية الديالكتيكية عن وحدة المعرفة والعمل .

ملاحظات

- (١) لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .
- (٢) ماركس : « موضوعات عن فيورباخ » ، ولينين : « المادية والمذهب النقدي التجريبي » ، الفصل الثاني ، المبحث السادس .
- (٣) « قصة الممالك الثلاث » هي قصة تاريخية صينية مشهورة كتبها لوه قوان تشونغ الذي عاش بين ١٣٣٠ و ١٤٠٠ على وجه التقريب - المغرب .
- (٤) لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .
- (٥) كانت حركة ٤ مايو (أيار) حركة ثورية معادية للامبريالية والاقطاعية ، انفجرت في ٤ مايو (أيار) ١٩١٩ . في النصف الأول من ذلك العام ، عقدت البلدان الامبريالية المنتصرة في الحرب العالمية الأولى : بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة واليابان وايطاليا وغيرها اجتماعا في باريس لتقاسم الغنائم قررت فيه أن تستلم

اليابان ما كانت ألمانيا تتمتع به من أنواع الامتيازات في مقاطعة شانغونغ الصينية . وكان طلبة بكين أول من أقاموا اجتماعات ومظاهرات في ٤ مايو (أيار) حيث عبروا عن معارضتهم الحازمة لذلك القرار . ولجأت حكومة أمراء الحرب الشماليين الى قمعهم فاعتقلت ثلاثين طالبا وأكثر ، فهب طلبة بكين مضربين عن الدراسة احتجاجا على ذلك ، واستجاب لهم الطلبة في مختلف أنحاء البلاد . وفي ٣ يونيو (حزيران) ، بدأت حكومة أمراء الحرب الشماليين تقبض على الطلبة ببكين على نطاق أكبر ، فبلغ عدد الذين ألقى القبض عليهم خلال يومين فقط حوالى ألف طالب ، الأمر الذى أثار سخطا أشد في طول البلاد وعرضها . وابتداء من ٥ يونيو (حزيران) ، أخذ العمال في شانغهاى ومدن كثيرة أخرى يضربون عن العمل وكذلك التجار . وهكذا تحولت الحركة الوطنية التى ساهم فيها المثقفون بصورة رئيسية في بداية الأمر تحولا سريعا الى حركة وطنية اجتاحت البلاد كلها وساهمت فيها البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية . ومع تقدم هذه الحركة ، تطورت كذلك حركة الثقافة الجديدة التى بدأت قبل حركة ٤ مايو (أيار) والرامية الى مناهضة الاقطاعية والداعية الى نشر العلم والى الديمقراطية ، وتحولت الى حركة ثقافية ثورية عارمة محتواها الرئيسى نشر الماركسية اللينينية - المعرب . (٦) « في سبيل المعرفة ، يتوجب على المرء أن يبدأ معرفته ودراسته على أساس التجربة وأن يرتفع من التجربة الى المعرفة العامة . » انظر لينين : « ملخص "علم المنطق" لهيجل » .

(٧) لينين : « ما العمل ؟ » ، الفصل الأول ، المبحث الرابع .

(٨) لينين : « المادية والمذهب النقدي التجريبي » ، الفصل الثانى ، المبحث

السادس .

(٩) ستالين : « أسس اللينينية » ، القسم الثالث .

(١٠) لينين : « المادية والمذهب النقدي التجريبي » ، الفصل الثانى ،

المبحث الخامس .

